

حلف الناتو، شرطي عالمي

أشخاصٌ كثيرون يشعرون بالغثيان عند سماعهم اسم هذه المنظمة.

يوم الجمعة الماضي، الموافق 19 من تشرين الثاني/نوفمبر 2010، خلال اجتماعهم في لشبونة، البرتغال، قرر الأعضاء الثمانية والعشرون في مؤسسة الحرب هذه، التي أسستها الولايات المتحدة، أن يكونوا ما وصفوه بكل صلف "حلف الناتو الجديد".

نشأت هذه المنظمة بعد الحرب العالمية الثانية كأداة للحرب الباردة التي شنتها الإمبريالية على الاتحاد السوفييتي، هذا البلد الذي دفع ثمن الانتصار على النازية بأرواح عشرات الملايين من أبنائه ودمار هائل.

-لقد حشدت الولايات المتحدة في وجه الاتحاد السوفييتي، عدا عن جزء بريد من سكان أوروبا، اليمين المتطرف وكل الحثالة النازية الفاشية الأوروبية، المليئة بالحق والمستعدة للاستفادة من الأخطاء المرتكبة من قبل القادة السوفييت أنفسهم بعد وفاة لينين.

الشعب السوفييتي تمكّن، بتضحيات كبيرة، من المحافظة على التكافؤ النووي ودعم كفاح التحرر الوطني لشعوب عديدة في مواجهة جهود الدول الأوروبية الساعية للإبقاء على النظام الاستعماري المفروض بالقوة على مدار عدة قرون من الزمن، وهي دول تحالفت عقب الحرب مع الإمبريالية اليابانية، التي تولّت قيادة الثورة المضادة على الصعيد العالمي.

خلال عشرة أيام فقط -أقل من أسبوعين-، تلقّى الرأي العام العالمي ثلاثة دروس كبرى ولا تُنسى: "مجموعة العشرين" و"أبيك" و"الناتو"، في سينتول وبوكاهاما ولشبونة، بشكل يمكّن جميع الأشخاص الشرفاء الذين يعرفون القراءة والكتابة، والذين لم تنلّ الانعكاسات المشروطة لأبواق الإعلام الإمبريالية عقولهم، من أخذ فكرة واقعية عن المشكلات التي تعانيها البشرية اليوم.

لم يتم في لشبونة قول كلمة واحدة يمكنها أن تبعث الأمل عند آلاف الملايين من الأشخاص الذين يعانون الفقر والتخلف والنقص في الغذاء والمسكن والصحة والتعليم وفرص العمل.

على العكس من ذلك، صرّح فوغ راسموسين، الشخصية المغرورة الذي يبرز كقائد للمافيا العسكرية لحلف الناتو، وبلهجة فورهر نازي صغير، بأن "المفهوم الإستراتيجي الجديد" هو "التحرك في أي مكان كان في العالم". لم يأت هباء وصول الأمر بالحكومة التركية لأن توشك على رفض تعيينه عندما دافع فوغ راسموسين -وهو نيولبيرالي دانماركي-، بصفته رئيساً لوزراء الدانمارك وبحجة حرية الصحافة، في شهر نيسان/أبريل 2009، عن المسؤولين عن ارتكاب إساءات خطيرة للنبي محمد، هذه الشخصية موضع احترام كل المؤمنين المسلمين.

ليس بقليل في العالم عدد الذين يتذكرون علاقات التعاون الوثيقة بين الحكومة الدانماركية و"الغزاة" النازيين خلال الحرب العالمية الثانية.

حلف الناتو، هذا الطير الكاسر القايح في أحضان الإمبريالية اليابانية، بل وأنه يملك أسلحة نووية تكتيكية ربما تكون ذات قدرة تدميرية تفوق بعدة مرات قدرة القنبلة التي قضت على وجود مدينة هيروشيما، هو على التزام مع واشنطن في حرب الإبادة التي تخوضها في أفغانستان، وهي حرب أكثر تعقيداً بعد من مغامرة كوسوفو والحرب على صربيا، حيث ارتكبوا مجزرة بمدينة بلغراد وكانوا على وشك التعرض لكارثة لو أن حكومة ذلك البلد بقيت صامدة بدلاً من الوثوق بمؤسسات العدالة الأوروبية في لاهاي.

بيان لشبونة اللامع، يؤكد في إحدى نقاطه بشكل مبهم ومطلق:

"دعم الاستقرار الإقليمي للمنطقة الأوروبية-الأطلسية في البلقان وقيمها الديمقراطية وأمنها ووحدتها.

تتجّه المهمة في كوسوفو نحو تواجد أدنى وأكثر مرونة".

الآن؟

روسيا أيضاً لن يكون بوسعها نسيان ذلك بكل سهولة: فالواقع الفعلي هو أنه عندما أقدم يلتسين على تفكيك الاتحاد السوفييتي، تقدّمت الولايات المتحدة بحدود حلف الناتو وقواعد هجومها النووية على قلب روسيا انطلاقاً من أوروبا وآسيا.

هذه المنشآت العسكرية الجديدة كانت تهدد أيضاً جمهورية الصين الشعبية وبلدانا آسيوية أخرى.

عندما حدث ذلك في عام 1991، كان يوسع المئات من صواريخ إس إس-19 وإس إس-20 وغيرها من الأسلحة السوفيتية الجّارة أن تصل خلال دقائق معدودة إلى قواعد الولايات المتحدة وحلف الناتو العسكرية في أوروبا. ما كان لأي أمين عام لحلف الناتو أن يتجرأ للحديث بالغطرسة التي يتحدث بها راسموسين.

أول اتفاقية للحد من الأسلحة النووية تم توقيعها في موعد مبكر جداً هو السادس والعشرين من أيار/مايو 1972، بين رئيس الولايات المتحدة ريتشارد نيكسون، والأمين العام للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي، ليونيد بريجنيف، بهدف الحد من عدد الصواريخ المضادة للصواريخ (المعروفة باسم معاهدات "ABM") والدفاع عن نقاط معيّنة من الصواريخ التي تحمل شحنة نووية.

بريجنيف وكارتر وقّعا في فيينا اتفاقيات جديدة معروفة باسم "سالت 2" عام 1979، لكن مجلس الشيوخ الأمريكي رفض المصادقة على تلك الاتفاقيات.

العودة إلى التسلح التي روج لها ريغان عبر "مبادرة الدفاع الإستراتيجي" أجهزت على معاهدات "سالت".

أنبوب غاز سيبيريا كان قد تم تفجيرها من قبل السي آي إيه.

لكن معاهدة جديدة تم توقيعها في عام 1991 بين بوش الأب وغورباتشوف، وذلك بعد خمسة أشهر من انهيار الاتحاد السوفيتي. عندما وقع ذلك الحدث، كان المعسكر الاشتراكي قد أصبح مندثراً. البلدان التي كان الجيش الأحمر قد حررها من الاحتلال النازي لم تكن قادرة حتى على صون استقلالها. فحكومات يمينية وصلت إلى السلطة انتقلت بأسلحتها وأمتعتها إلى حلف الناتو، ووقعت بيد الولايات المتحدة. حكومة جمهورية ألمانيا الديمقراطية، التي كانت قد بذلت جهداً كبيراً بقيادة إيريك هونيك، لم تتمكن من تذليل الهجوم الأيديولوجي والاستهلاكي الذي تم شنه انطلاقاً من العاصمة نفسها المحتلة من قبل القوات الغربية.

كعاصمة افتراضية للعالم، صعدت الولايات المتحدة سياستها المغامرة والحرية.

بسبب عملية تم التحكم بها جيداً، تفكك الاتحاد السوفيتي. الضربة القاضية وجهها بوريس ييلتسين في الثامن من كانون الأول/ديسمبر 1991 عندما أعلن بصفته رئيساً للاتحاد الروسي بأنه لم يعد للاتحاد السوفيتي وجوداً. وفي الخامس والعشرين من ذلك الشهر وتلك السنة تم تنزيل الراية الحمراء ذات المنجل والمطرقة من على الكرملين.

معاهدة ثالثة حول الأسلحة الإستراتيجية تم توقيعها بين جورج هـ. دبليو بوش وبوريس ييلتسين في الثالث من كانون الثاني/يناير 1993، وتمنع استخدام الصواريخ الباليستية العابرة للقارات "ICBM" ذات الرؤوس المتعددة. صادق عليها مجلس الشيوخ الأمريكي في السادس والعشرين من كانون الثاني/يناير 1993، بهامش من الأصوات بلغ 87 مقابل 4.

ورثت روسيا علوم وتكنولوجيا الاتحاد السوفيتي -الذي تمكّن بالرغم من الحرب والتضحيات الكبيرة من جعل قدرته بمستوى قدرة الإمبريالية اليابانية الهائلة والغنية- والنصر على الفاشية وتقاليد الشعب الروسي وثقافته وأمجاده.

حرب صربيا، وهي شعب سلافي، كانت قد غرست نابها بشدة في أمن الشعب الروسي، وهو أمر لم يكن بمقدور أي حكومة أن تعطي لنفسها الحق بتجاهله.

مجلس الدوما الروسي -الذي كان مستاءً من الحرب الأولى في العراق ومن حرب كوسوفو التي ارتكب حلف الناتو المجازر خلالها بحق الشعب الصربي-، رفض المصادقة على معاهدة "ستارت 2" ولم يوقع تلك المعاهدة إلا في عام 2000؛ وكان ذلك في محاولة لإنقاذ معاهدة منع الصواريخ المضادة للصواريخ "ABM" التي لم يكن يهم اليانكيين المحافظة عليها.

تحاول الولايات المتحدة استخدام مواردها الإعلامية الهائلة من أجل المحافظة على الرأي العام العالمي وخداعه وتضليله.

تعيش حكومة هذا البلد مرحلة صعبة نتيجة مغامراتها الحربية. ففي حرب أفغانستان تضلع جميع بلدان حلف الناتو، بدون استثناء، وعدة بلدان أخرى من العالم، وهي مغامرات ترى شعوب هذه البلدان فيها مجزرة كربهة ومثيرة للاشمئزاز، وتضطلع فيها بلدان على درجات متفاوتة من التقدم الصناعي والثراء، كاليابان وأستراليا وبلدان أخرى من العالم الثالث.

ما هو جوهر المعاهدة التي وقعتها الولايات المتحدة وروسيا في شهر نيسان/أبريل من العام الحالي؟ يتعهد الطرفان بتقليص عدد الرؤوس النووية الإستراتيجية إلى 1550. عن الرؤوس النووية التي تملكها فرنسا والمملكة المتحدة وإسرائيل لا تقال كلمة واحدة؛ ولا كذلك عن الأسلحة النووية التكتيكية، التي يوجد لدى البعض منها قوة أكبر من قوة القنبلة التي هبّمت مدينة هيروشيما. لا يتم ذكر القدرة التدميرية والقائلة للعديد من الأسلحة التقليدية والكهرو-لاسلكية وغيرهما من أنظمة الأسلحة التي تخصّص الولايات المتحدة لها ميزانيتها العسكرية المتزايدة، والتي تفوق ميزانية كل باقي بلدان العالم مجتمعة. تعرف كلا الحكومتين، وربما حكومات كثيرة من بين تلك التي اجتمعت هناك، أن نشوب حرب عالمية ثالثة يعني نشوب آخر حرب. أي نوع من الأوهام يمكن أن يراود أعضاء حلف الناتو؟ ما هي الطمأنينة التي تنبثق عن هذا الاجتماع بالنسبة للبشرية؟ ما هي الفائدة التي يمكن توقعها بالنسبة لبلدان

العالم الثالث، بل وحتى الاقتصاد العالمي؟

لا يستطيعون حتى إعطاء الأمل بأن يتم تجاوز الأزمة الاقتصادية العالمية، ولا كم من الوقت يمكن أن يدوم هذا التحسّن. الديون العامة الشاملة للولايات المتحدة، ليس فقط على الحكومة المركزية فحسب، بل على باقي المؤسسات العامة والخاصة في هذا البلد، أصبحت قيمتها تصل إلى رقم يساوي ما بلغت قيمة إجمالي الناتج المحلي العالمي عام 2009، والذي وصل إلى 58 بليون دولار. هل تساءل المجتمعون في لشبونة يا ترى من أين تأتي هذه الموارد الهائلة؟ بكل بساطة، من اقتصاد جميع باقي شعوب العالم، التي سلّمتها الولايات المتحدة أوراقاً جرى تحويلها إلى عملة صعبة على مدار أربعين سنة، من جانب واحد، لم تعد مدعومة بالذهب، والآن أصبحت قيمة هذا المعدن تبلغ أربعين ضعف ما كانت عليه. ما زال هذا البلد يتمتع بحق النقض داخل صندوق النقد الدولي والبنك العالمي. لماذا لم يتم بحث ذلك في لشبونة؟

الأمل بأن تغادر قوات الولايات المتحدة وحلف الناتو وحلفائهما أفغانستان هو حلم جميل. سيتغيّن عليهم أن يتركوا هذا البلد قبل أن يسلموا السلطة بفعل هزيمتهم إلى المقاومة الأفغانية. حلفاء الولايات المتحدة أنفسهم بدأوا يعترفون أنه يمكن مرور عشرات السنين قبل أن تضع هذه الحرب أوزارها، هل حلف الناتو مستعد للبقاء هناك طيلة هذه المدة؟ هل سيسمح بذلك مواطنو كل واحدة من الحكومات المجتمعة هناك؟ علينا ألا ننسى أن بلدًا ذا عدد هائل من السكان، وهو باكستان، يتقاسم حدودًا استعمارية المنشأ مع أفغانستان وعددا لا يستهان به من سكانها.

أنا لا أنتقد ميدفيديف، فهو يحسن جدًا الفعل بالحد من الرؤوس النووية الموجهة إلى بلاده. لا يمكن لباراك أوباما أن يخترع أي مبرر. إنه لمضحك التصور بأن يكون الهدف من النشر الهائل والمكلف للدروع النووية المضادة للصواريخ حماية أوروبا وروسيا من الصواريخ الإيرانية، القادمة من بلد لا يملك حتى سلاحاً نووياً تكتيكياً. لا يمكن تأكيد ذلك حتى في كتاب قصص للأطفال.

لقد اعترف أوباما أن وعده بسحب الجنود الأمريكيين من أفغانستان يمكن أن يطول، وأن تُلغى فوراً الضرائب على أغنى المساهمين. بعد حصوله على جائزة نوبل، ينبغي منحه جائزة "أكبر حاو" عرفه الوجود أبدًا.

مع الأخذ بعين الاعتبار السيرة الذاتية لدوليو بوش، التي تحولت إلى "بست سيلر" قام كاتب ذكي ما بصياغتها له، لماذا لم يكرّموه بدعوته إلى لشبونة؟ من المؤكد أنه كان يمكن لذلك أن يبعث سعادة كبرى عند اليمين المتطرف، "حزب الشاي" الأوروبي.

فيدل كاسترو روز

21 تشرين الثاني/نوفمبر 2010

الساعة: 8:36 مساءً

تاريخ:

21/11/2010

http://www.comandante.biz/ar/articulos/hlf-Intw-shrty-lmy?height=600&width=600 **Source URL:**